الفصل الرابع

القسم الأول:

متفرقات

المبحث الأول: تسمية يثرب بطيبة، وطابة والمدينة:

يلحظ ان المدينة المنورة سميت في الصحيفة بيثرب. ولكن فيما بعد كره الله ورسوله هذا الاسم فاستبدلت بها أسماء طيبة وطابة والمدينة.

فقد روى مسلم[1] عن جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى سمى المدينة: طابة».

وروى بسنده إلى زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «إنها طيبة ـ يعني المدينة ـ وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة»[2].

وروى الطيالسي[3] بطريق مسلم نفسها قائلا: «كانوا يسمون المدينة بيثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة».

وقال ابن حجر[4] إنه ورد من طريق أبي سهل بن مالك عن كعب الأحبار، قال: «نجد في كتاب الله الذي أنزل على موسى أن الله تعالى قال للمدينة ياطيبة، وياطابة...».

وردت في بعض أحاديث الرسول ﷺ باسم آخر هو: المدينة. فقد روى البخاري[5] بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

---

(١) صحيحه (٢/١٠٠٧/ح ١٣٨٥) ورواه بسنده ومتنه ابن شبه في تاريخ المدينة (١/١٦٤).
(٢) المصدر والمكان نفساهما.
(٣) مسنده (٢/٢٠٤).
(٤) الفتح (٨/٢١٨).
(٥) الفتح (٢٧/١٢١/ح ٧١٣٣).

وروى أحمد[٦] أن الرسول ﷺ قال: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله (عز وجل)، هي طابة، هي طابة».

وذكر السيوطي[٧] عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «لا تدعونها يثرب، فإنها طيبة ـ يعني المدينة ـ ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبه، هي طيبة، هي طيبة».

وروى البخاري[٨] عن أبي حميد أنه قال: «أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: «هذه طابة».

وروى ابن شبة[٩] بإسناده إلى أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب.

وروى مسلم[١٠] عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقول يثرب، وهي المدينة. تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وسماها القرآن الكريم المدينة في مواضع متعددة[١١]

وقال ابن حجر[١٢] في سبب كراهة تسمية المدينة بيثرب، لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب، وهو الفساد، وكلاهما مستقبح. وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ويكره القبيح.

---

(٦) المسند (٤/ ٢٨٥) بسنده إلى البراء بن عازب، ورجاله ممن يحتج بهم، ما عدا يزيد بن أبي زياد، فهو ضعيف، كما في التقريب (٣/ ٣٦٥) والتهذيب... ولكن يتقوى بالشواهد والمتابعات، وذكره ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢١٦) ورواه الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٠٠) وعزاه لأبي يعلى، وقال: ورجاله ثقات، ورواه ـ من ثلاثة طرق ـ ابن شبه في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥) الأول مرسل وفيه يزيد بن أبي زياد، والثاني مرفوع وفيه يزيد أيضا، والثالث مرفوع ورجاله ثقات ماعدا ابن أبي يحيى ـ إبراهيم بن محمد الأسلمي ـ فهو متروك كما في التقريب، فحديثه ضعيف جدا.

(٧) الدر المنثور (٥/ ١٨٨) وعزاه لابن مردويه.

(٨) الفتح (٨/ ٢١٨/ ١٨٧٢)، ورواه ابن شبه في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤).

(٩) تاريخ المدينة (١/ ١٦٥) وإسناده ضعيف لأن فيه ابن أبي يحيى ـ إبراهيم بن محمد الأسلمي ـ وهو متروك كما في التقريب، فحديثه ضعيف جدا، ولكن للحديث شواهد ومتابعات يتقوى بها كما سترى من أحاديث هذه المسألة.

(١٠) صحيحه (٢/ ١٠٠٦/ ح ١٣٨٢).

(١١) مثلا: المنافقون: ٨، الأحزاب: ٦٠، التوبة: ١٠١، ١٢٠، ...إلخ وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

(١٢) الفتح (٨/ ٢١٦/ ك. فضائل المدينة/ ب. فضل المدينة وانها تنفي الناس).

المبحث الثاني: بعض المتاعب الصحية تواجه بعض المهاجرين:

لقد واجه المهاجرون حين مقدمهم من مكة إلى المدينة بعض المتاعب الصحية، إذ أصابتهم حمى يثرب[١٣]، حتى أنهم كانوا يصلون وهم قعود[١٤]، وصرف الله ذلك عن نبيه محمد ﷺ[١٥].

لقد وعك أبوبكر وبلال. فكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة؟ * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وجاءت عائشة (رضي الله عنها) إلى النبي ﷺ فأخبرته بما يقولان، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصححها وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها في الجحفة»[١٦].

ووعكت عائشة[١٧] وابن فهيرة[١٨]، وغير هؤلاء، لأن المدينة كانت مشهورة بالحمى، حتى قال مشركو مكة عن مسلمي المدينة في عمرة القضاء: «إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب»، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ليروا المشركين قوتهم، وأن الحمى لم

---

(١٣) طرف من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٣١ - ٣٢). قال الساعاتي: «وأورده أيضا الهيثمي بطوله وقال رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة».

(١٤) أحمد: المسند (٣/ ١٣٦)، وابن إسحاق، بإسناد لم يصرح فيه بالسماع - ابن هشام (٢/ ٢٧٤)، ابن ماجه (١/ ٣٨٨/ح ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١) من طريق ابن إسحاق، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح».

(١٥) المصدر السابق نفسه.

(١٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٢١ - ١٢٢/ح ٣٩٢٦). قال ابن حجر في شرحه: بواد: وادي مكة. وانظر الفتح الرباني (٢١/ ١٣ - ١٤)، جليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها. شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة، وقيل: عينان. ورواه ابن إسحق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ٢٧١ - ٢٧٣).

(١٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ١١٤/ح ٣٩١٧، ٣٩١٨).

(١٨) ذكره ابن إسحاق من حديث عائشة بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ٢٧١)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٣) من حديث عائشة، وقال الساعاتي: متفق عليه.

تنهكهم كما يزعم الكفار[١٩].

واستجاب الله دعاء نبيه فجعلها من أطيب البلاد بعد ذلك.

المبحث الثالث: قريش تهدد المهاجرين والأنصار:

كان عبدالله بن أبي بن سلول أكبر زعماء المدينة. وعندما جاءها الرسول ﷺ مهاجرا كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم، ولم يتم ذلك لأن الرسول ﷺ أصبح زعيما بتاج النبوة. ولذا تأخر في إسلامه، لأنه كان يرى أن الرسول ﷺ قد سلبه ملكه، فأخذ يناصبه العداء. وبعد أن أعلن إسلامه ظل على عدائه للرسول ﷺ، ولكن بأسلوب آخر، وهو أسلوب النفاق. وله مواقف تدل على نفاقه كما سيأتي.

ففي أحد هذه المواقف، روى البخاري[٢٠] ومسلم[٢١] وأحمد[٢٢]، ثلاثتهم من حديث الزهري بإسناده إلى أسامة بن زيد أن سعد بن عبادة قال: «يارسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَةِ على أن يتوجوه فَيُعَصِّبُوهُ بالعِصَابَة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شَرِقَ بذلك، فذلك فَعَلَ به ما رأيت...».

وفي رواية ابن إسحاق[٢٣] قال سعد: يارسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فوالله إنه ليرى أنه قد سلبته ملكا».

لقد وجد مشركو مكة ضالتهم في ابن سلول هذا، لأنه على ملتهم، فكاتبوه ليكيد للمسلمين ويقوم بالدور الذي كانوا يقومون به ضد الرسول ﷺ وأصحابه في مكة. قالوا له في كتبهم إليه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم

---

(١٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ٩٦/ح ٤٢٥٦، ٤٢٥٧) وقد سبق أن قلنا إن بلالا دعا على شيبة وعتبة وأبي جهل لأنهم أخرجوهم إلى أرض الوباء.

(٢٠) الفتح (١٧/ ٩٢ - ٩٤/ح ٤٥٦٦).

(٢١) مسلم (٣/ ١٤٢٢ - ١٤٢٣/ح ١٧٩٨).

(٢٢) المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٩ - ٢٠) بإسناد صحيح.

(٢٣) ابن هشام (٢/ ٢٧٠ - ٢٧١) بإسناد حسن، وهو نفس طريق البخاري ومسلم وأحمد.

بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم»[٢٤].

وامتثل ابن أبي لأمر الكفار، فجمع كفار المدينة لمحاربة الرسول ﷺ. وعندما بلغ الرسول ﷺ أمره، قال لهم: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ماكانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا[٢٥].

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة يقولون لهم: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم»[٢٦].

واحترازا من مكائد قريش حرص المسلمون على حراسة الرسول ﷺ ليلا حتى نزل قوله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾[٢٧]، فقال لأصحابه: «ياأيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله (عز وجل)»[٢٨]. وقد دعا رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص عندما جاء يحرسه ذات ليلة، خوفا عليه[٢٩].

ولم يكن الخطر مقتصرا على الرسول ﷺ فقط، بل تعداه إلى أصحابه. فقد قال أبي بن كعب: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه[٣٠]».

وكجزء من مخططات قريش وأساليبها للصد عن سبيل الله فقد حاولت صد الأنصار عن المسجد الحرام. وقد ظهر هذا جليا في قصة سعد بن معاذ وأبي جهل. وخلاصتها عند البخاري، أن سعدا بن معاذ جاء مكة معتمرا،

---

(٢٤) سنن أبي داود (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٧/ك. الخراج/ب خبر النضير/ح ٣٠٠٤) وإسناده صحيح.
(٢٥) المصدر نفسه.
(٢٦) انظر المنصور فوري: رحمة للعالمين (١/ ١٠٩)، ولم نعثر على مصدر المنصور فوري حتى الآن.
(٢٧) المائدة: ٦٧.
(٢٨) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤٦/ح ٣٢٥٠)، وقال الشيخ الألباني: «حسن».
(٢٩) مسلم (٤/ ١٨٧٥/ح ٢٤١٠)، البخاري/ الفتح (١٢/ ٣٥/ح ٢٨٨٥).
(٣٠) ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم، ص ٢١٧، ولم يذكر مصدره ولم نعثر عليه حتى الآن.

وطلب من مضيفه أمية بن خلف أن ينظر له ساعة خلوة ليطوف بالبيت آمنا. فأخذه أمية ليطوف في منتصف النهار حين غفلة الناس، ومع ذلك لقيه أبوجهل وسأل عنه أمية، فأخبره به، فقال له: «تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ وتشاجرا، ومما قاله سعد له: «والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام... وهدده بأن الرسول ﷺ سيقتله، وقد كان أن قتله الله ببدر[٣١].

(٣١) البخاري/ الفتح (١٤/١٢٦/ح ٣٦٣٢).

القسم الثاني من الفصل الرابع

النشاط العسكري والسياسي قبل غزوة بدر الكبرى:

المبحث الأول: الإذن بالقتال:

روى ابن جرير الطبري[٣٢] بسنده إلى ابن عباس أنه قال: «لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبوبكر: أخرجوا نبيهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله (عز وجل): ﴿أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظُلِموا، وإنّ الله على نصرهم لقدير﴾[٣٣]، قال أبوبكر (رضي الله عنه): فعرفت أنه سيكون قتال».

وزاد أحمد[٣٤] في روايته لهذا الخبر، أن ابن عباس قال: «وهي أول آية في القتال».

وقال العوفي عن ابن عباس إن الآية نزلت في محمد ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة[٣٥].

لقد شرع الجهاد في الوقت الأليق به، لأن المسلمين بمكة كانوا أقل من معشر المشركين، ولذا لم يأمرهم الله بالقتال. وعندما بغى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من مكة وهموا بقتله، وشردوا أصحابه ما بين الحبشة والمدينة، وعندما استقر المسلمون بالمدينة وهاجر إليهم الرسول ﷺ وأصبحت المدينة دار إسلام ومعقلا يلجؤون اليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت

---

(٣٢) تفسير الطبري (١٧/١٢٣)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٠ - ٤٣١).
(٣٣) الحج: ٣٩.
(٣٤) المسند (٣/٢٦٢/شاكر) وصحح شاكر إسناده. ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧٩/ح ٢٥٣٥) وحسنه، وصحح الألباني إسناده.
(٣٥) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١٢٢ - ١٢٣)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٠ - ٤٣١).

هذه الآية أول ما نزل في ذلك[٣٦]. ولم يكن القتال هنا فرضا عليهم وإنما أذن بالقتال لمن ظلم، ثم فرض عليهم فيما بعد قتال من يقاتلهم عندما نزل قوله تعالى ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾[٣٧].

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾[٣٨].

وهكذا مر تشريع الجهاد بأربع مراحل رئيسة، وهي:

١) مرحلة الصبر دون القتال ـ بمكة.

٢) مرحلة الإذن بالقتال ـ بعد الهجرة.

٣) مرحلة الأمر بقتال من يبدؤهم بالقتال.

٤) مرحلة الأمر بقتال جميع المشركين[٣٩].

المبحث الثاني: الغزوات والسرايا[٤٠] والأحلاف والأحداث الهامة قبل غزوة بدر الكبرى:

أولا: أهداف الغزوات والسرايا:

عندما أذن الله لنبيه والمؤمنين بالقتال، أخذوا في إعداد القوة لرد عدوان قريش، ومن على شاكلتها. فلما أرادت قريش أن تري المسلمين أن لها يدا

---

(٣٦) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢). وقال الزهري: «أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ أخرجه النسائي: (٦/ ٤) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٤٢). وأخرجه غيره. انظر السيرة الشامية (٤/ ١٢).

(٣٧) البقرة: ١٩٠.

(٣٨) التوبة (براءة): ٣٦.

(٣٩) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧١)، وسيد قطب: في ظلال القرآن (٣/ ١٤٣١ ـ ١٤٣٢)، ولسيد قطب كلام هام في تعليقه على هذه المراحل التي ذكرها ابن القيم، بين فيها السمات الأصلية والعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين. والسمة الأولى هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين، إذ يقول: «... فهو حركة تواجه واقعا بشريا. وتواجه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي... إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية تسندها سلطات ذات قوة مادية... ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه... تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل...».

(٤٠) أطلق المؤرخون اسم «السرية» على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده أحد أفراد المسلمين. وأطلقوا اسم «الغزوة» على المجموعة أو الجيش الذي يقوده الرسول ﷺ بنفسه.

في داخل المدينة، أراد المسلمون أن يروا قريشا ان المسلمين ليسوا بذلك الهوان الذي تتصوره قريش، وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش، وحصارها سياسيا واقتصاديا، ورد حقوقهم المسلوبة.

وكانت أول خطوة في هذا الميدان أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طرق قريش التجارية، شمالا وجنوبا، شرقا وغربا. واختار الرسول ﷺ لبسط هذه السيطرة خطتين متلازمتين:

الأولى: إرسال السرايا والبعوث لمهاجمة قوافل قريش التجارية.

الثانية: السعي إلى عزل قريش بالدخول في معاهدات دفاعية وعدم اعتداء مع القبائل المحيطة بالمدينة، والتي تخترق قوافل قريش أراضيها وهي في طريقها إلى الشام، فكسب إلى جانبه في السنوات الأولى من الهجرة: بني ضمرة وجهينة وخزاعة وغفار وأسلم. وسيأتي ذكر هذا من خلال الكلام عن السرايا. وكسب غيرها بعدها خلال سني حياته بالمدينة كما سنرى إن شاء الله.

ولقد نجحت هذه السرايا في كل أهدافها، لا سيما إرباك قريش وحلفائها وإضعاف معنوياتهم، وضرب نشاطهم التجاري في جميع الاتجاهات، والحصول على مورد للتموين والتسليح. ونجحت في إنذار الأعداء بأن للمسلمين المقدرة على التصدي والردع. واكتسبت القوات الإسلامية مزيد خبرة في مجال التدريب العسكري، والمناورة وجس نبض الأعداء، ومعرفة دروب الصحراء وأحوال الأعداء.

ثانيا: الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة:

١) سرية سيْف البحر:

بقيادة حمزة بن عبدالمطلب، في ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليعترضوا عيرا لقريش قادمة من الشام، وفيها أبوجهل في ثلثمائة رجل. وعندما التقى الجمعان. واصطفوا للقتال، حجز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو الجُهَني ـ وكان حليفا للفريقين ـ فلم يقتتلوا. وكان ذلك في رمضان على رأس

سبعة أشهر من هجرة النبي ﷺ[41].

ويفهم من هذا أن الرسول ﷺ كان قد عقد حلفا مع أحد رجال فرع من فروع جُهَيْنَة في وقت مبكر من حياته بالمدينة، أي في النصف الأول من السنة الأولى الهجرية.

ومما يقوي هذا الفهم، مارواه أحمد[42] عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جُهَيْنَة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأمنك وتأمَنّا، فأوثق لهم فأسلموا...».

وحفظت لنا المصادر التاريخية عددا من الوثائق الخاصة بعلاقة النبي ﷺ مع فروع جهينة المختلفة. من ذلك ما ذكره ابن سعد[43] من أن الرسول ﷺ كتب لبني زرعة وبني الدبعة من جُهَيْنَة أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم من بر منهم واتقى ما لحاضرتهم.

ويغلب على هذه الوثيقة الطابع السياسي، إذ ليس فيها إشارة إلى أي واجب ديني[44].

أما الوثيقة التي كتبها لبني الحُرَقَة وبني الجُرْمُز من جهينة، وتحمل اسم عمرو بن مَعْبَد الجهني، فقد ورد فيها الإصرار على أداء الواجبات الدينية كشرط للأمان، وفيها أداء الخمس من الغنائم، وسهم النبي ﷺ، وتحريم الربا[45] مما يدل على أنها كتبت بعد بدر، لأن فرض الخمس كان بعد بدر بمدة، عندما قويت شوكة المسلمين، وهزموا

---

(٤١) الواقدي (١/ ٩)، ابن سعد (٢/ ٦)، ابن اسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨١) - وجميعهم بدون إسناد. وقال ابن سعد (٢/ ٦): «ولم يبعث رسول الله ﷺ أحدا من الأنصار مبعثا حتى غزا بدرا، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم، وهذا الثبت عندنا».

(٤٢) المسند (٣/ ٧٠/ شاكر)، وقال شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه، وروى نحوه موصولا البيهقي في الدلائل (٣/ ١٥) وليس فيه مجيء جهينة... وعلق عليه ابن كثير في البداية (٣/ ٢٧٢) بقوله: «وهذا أنسب».

(٤٣) الطبقات (١/ ٢٧٠) - بدون إسناد.

(٤٤) انظر: دبلوماسية محمد، ص ٤٣.

(٤٥) الطبقات (١/ ٢٧١ - ٧٢) بدون إسناد.

قريشـا، وتفرغوا لبسط سيادة الإسلام على الجزيرة العربية[٤٦]، ولأن تحريم الربا جاء متدرجا. ففي العهد المكي نزل قول الله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعِفُون﴾[٤٧] وفي العهد المدني نزل تحريم الربا صراحة في قول الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة. واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[٤٨]. وآخر ما ختم به التشريع قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظْلَمون﴾[٤٩].

وكتب الرسول ﷺ لعَوْسَجَة بن حَرْمَلَة الجهني ولبني شَنْخ من جهينة كتابي إقطاع وتمكين على مناطق سماها لهم، ولم تتطرق الوثيقتان إلى أمر آخر غير الإقطاع[٥٠].

٢) سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار[٥١]:

روى الـواقـدي[٥٢] بسنـده إلى سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «اخرج ياسعد حتى تبلغ الخرار، فإن عيرا لقريش ستمر به. فخرجت في عشرين رجلا أو أحد وعشرين[٥٣] على أقدامنا، نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس. وقد كان النبي ﷺ عهد إلي ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم».

---

(٤٦) دبلوماسية محمد ﷺ، ص ص ٤٣ - ٤٤.
(٤٧) الروم: ٣٩.
(٤٨) آل عمران: ١٣٠.
(٤٩) البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩ - وانظر سيد سابق: فقه السنة (٣/١٣٢ - ٣٣).
(٥٠) الطبقات (١/ ٢٧٠).
(٥١) من الجحفة وقريب من خم كما قال الواقدي (١/ ١١).
(٥٢) المغازي (١/ ١١)، بإسناد متصل ورجاله ثقات، ماعدا الواقدي، فهو متروك في الحديث مع سعة علمه.
(٥٣) عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٧) أن عدتهم ثمانية - دون إسناد. فهو ضعيف.

وعند ابن سعد[٥٤] أن الذي كان يحمل اللواء هو المقداد بن عمرو. وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة[٥٥].

٣) غزوة الأبْـوَاء (وَدَّان):

غزاها رسول الله ﷺ في صفر على رأس أحد عشر شهرا من الهجرة، كما عند الواقدي، وفي صفر على رأس اثني عشر شهرا، كما عند ابن سعد، يريد الاعتراض على عير لقريش ويريد بني ضمرة. فسار حتى بلغ الأبواء من ديار بني ضمرة، فلم يلق حربا، وكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحدا. وكتب في ذلك كتابا لزعيمهم مَخْشِيّ بن عمرو الضمري[٥٦]. وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه[٥٧].

٤) سرية عُبَيْدَة بن الحارث الى رَابِغ:

عقد له رسول الله ﷺ لواء في ستين رجلا من المهاجرين فسار حتى لقي جمعا عظيما من قريش، عليهم أبوسفيان أو عكرمة، على ماء بالحجاز، فتناوشوا، ورمى سعد يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام، ثم انصرفوا. وفر من المشركين إلى المسلمين، المِقْدَاد بن عمرو وعُتْبَة بن غَزْوَان بن جابر المازني، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار[٥٨]. وكان هذا من أكبر مكاسب المسلمين من هذه السرية.

وقد اختلف في تاريخ هذه السرية. فعند الواقدي[٥٩] وابن سعد[٦٠]،

---

(٥٤) الطبقات (٢/٧) ـ دون اسناد فهو ضعيف.

(٥٥) الطبقات (٢/٧) ـ والواقدي (١/١١). فهو ضعيف جداً.

(٥٦) انظر الكتاب عند ابن سعد (١/٢٧٥).

(٥٧) ابن اسحاق ـ ابن هشام (٢/٢٧٥)، الواقدي (١/١١ ـ ١٢) ابن سعد (٢/٨)، موسى بن عقبة كما في الفتح (١٥/١٤١)، وجميعهم بدون إسناد ـ وروى ذلك الطبراني كما في المجمع (٦/٨٦) والفتح (١٥/١٤١) من طريق كثير بن عبدالله ـ والحديث حسن إذا تابعنا البخاري في تحسين حديث مروي عن كثير في غير الصحيح وتوثيق الترمذي له... انظر ما سبق في صحيفة المدينة.

(٥٨) الطبقات (٢/٧)، الواقدي (١/١٠) ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/٢٧٦) وجميعهم من دون إسناد. ومعلوم أن الخبر غير المسند من أقسام الضعيف.

(٥٩) المغازي (١/١٠).

(٦٠) الطبقات (٢/٧).

أنها كانت في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، ولا إشكال هنا في أن يكون المقداد بن عمرو حامل لواء سرية الخرار، لأنها كانت في الشهر التاسع الهجري، ويفهم من رواية ابن إسحاق[٦١] أنها في ربيع الأول. وبعد غزوة الأبواء، ولم يذكر رقم الشهر من تاريخ الهجرة. وعند أبي الأسود وابن عائذ أنها بعد غزوة الأبواء وقبل أن يعود الرسول ﷺ منها إلى المدينة. وفي ذلك قال ابن حجر[٦٢]: «وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا، فلقوا جمعا من قريش فتراموا بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله».

وإذا صح هذا الإسناد[٦٣]، فالراجح ما قاله أبو الأسود وابن عائذ، ويبقى إشكال حمل المقداد لواء المسلمين يوم الخرار، فيحمل على أن ذلك كان في غير هذه السرية، أو أنه وهم من ابن سعد[٦٤].

٥) غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى:

خرج الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط، وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حربا. وكان ذلك في ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشرشهرا من الهجرة[٦٥].

٦) غزوة سَفَوَان (بدر الأولى - بدر الصغرى):

عندما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة في ربيع الاول

---

(٦١) ابن هشام (٢/ ٢٧٦).

(٦٢) الفتح (١٥/ ١٤٢).

(٦٣) الحكم النهائي على إسناد أبي الأسود وابن عائذ يكون بعد الوقوف على كامل إسناديهما، وهو مالم يتحقق لنا حتى الآن.

(٦٤) انظر سرية سعد إلى الخرار.

(٦٥) ابن سعد (٢/ ٩٠٨)، وابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٤)، الواقدي (١/ ١٢) وجميعهم من دون إسناد.

على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان، من ناحية بدر، فلم يدركه، فعاد إلى المدينة[٦٦]. وعند ابن إسحاق[٦٧] انها بعد غزوة ذي العُشَيْرَة.

٧) غزوة العُشَيْرَة:

خرج الرسول ﷺ في خمسين ومائة - ويقال في مائتين - من أصحابه، يعترض قافلة كبيرة لقريش في طريقها إلى الشام، وبلغ العشيرة وهي لبني مدلج، بناحية ينبع. ففاتته العير. وهي التي خرج يريدها حين عادت، ولكنها أيضا أفلتت، وكان لقاء بدر الكبرى بسببها.

ووادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حربا.

وكان ذلك في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة[٦٨].

وقد ثبت في الصحيح وقوع هذه الغزوة، ولكن بدون ذكر لأي تفاصيل عنها[٦٩].

وتفيدنا المصادر أن الرسول ﷺ عقد معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير من ذكرنا، في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط وقوع ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية معينة. مثال ذلك:

كتاب الرسول ﷺ إلى بُدَيْل بن ورقاء وبُسْر وسَرَوَات بني عمرو الخزاعيين، يفيدهم فيه أنه لم يخنهم منذ أن سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه[٧٠].

وكتاب الرسول ﷺ إلى أسلم من خزاعة، وفيه الإقرار بالمناصرة[٧١].

---

(٦٦) ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٨)، ابن سعد (٢/ ٩)، الواقدي (١/ ١٢) وجميعهم بدون إسناد.
(٦٧) ابن هشام (٢/ ٢٨٨).
(٦٨) انظرها عند: ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥)، ابن سعد (٢/ ٩ - ١٠) الواقدي (١/ ١٢ - ١٣)، وجميعهم من دون إسناد. وعند الواقدي وابن سعد: «ذوالعشيرة» وما في الصحيح أصح.
(٦٩) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ١٤١ - ١٤٤/ ح ٣٩٤٩، باب غزوة العشيرة).
(٧٠) انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١/ ١٧٠)، وابن سعد (١/ ٢٧٢).
(٧١) انظره في: ابن سعد (١/ ٢٧١).

وكتاب الرسول ﷺ إلى بني غفار، وفيه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم أو يحارب المسلمين في دينهم[٧٢].

وكتاب النبي ﷺ إلى نعيم بن مسعود بن رخيلة الأشجعي، وفيه المحالفة، على النصر والنصيحة[٧٣].

٨) سرية نَخْلَة:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة ومعه ثمانية رهط من المهاجرين. وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وذلك إمعانا في السرية، وحتى لا يعلم أحد إلى أين الاتجاه.

وفعل ما أمر به. وعندما فض الكتاب وجد فيه الأمر بأن يمضي حتى ينزل نخلة، بين مكة والطائف[٧٤]، ليرصد بها قريشا ويعلم له من أخبارهم، وألا يستكره أحدا من أصحابه. وعندما أخبر أصحابه بأمر الرسول ﷺ مضوا معه جميعا إلى وجهته.

وعندما نزلوا نخلة، مرت عير لقريش فيها ابن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نَوْفَل والحَكَم بن كَيْسَان مولى هشام بن المغيرة.

وتشاور الصحابة في أمر الاستيلاء على هذه العير، لأن ذلك كان في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام، فخشوا أن يترتب على هذا القرار نتائج غير مرضية. وعندما وجدوا أنهم لو تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن به منهم، تشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من يقدرون عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن عبدالله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل. وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

(٧٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٧٤).
(٧٣) انظره في: الطبقات (١/ ٢٧٤).
(٧٤) وهذا دليل على أن خطة المسلمين في ملاحقة قوافل قريش لم تكن خاصة بالمنطقة الشمالية من الحجاز بل تعدى ذلك إلى المنطقة الجنوبية، طريق قوافل قريش إلى اليمن.

وقال لهم الرسول ﷺ إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يأخذ العير والأسيرين. وظن القوم أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قريش إن محمدا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فلما أكثر الناس في ذلك، أنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟ قل قتال فيه كبير. وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر. والفتنة أكبر من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يرجون رحمة الله، والله غفور رحيم﴾(٧٥).

وبها فرج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين.

وعندما أرسلت قريش في فداء الأسيرين، اشترط الرسول ﷺ أن يكون ذلك بعد مجيء سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، خشية منه عليهما من قريش. وكانا قد تخلفا عن القوم قبل وصولهم نخلة، بحثا عن بعيرهم الذي أضلاه(٧٦).

أحكام وعبر في قصة سرية نخلة:

١) لقد بينت هذه الآية التي نزلت في التعليق على ماحدث في هذه السرية أن الذي فعله المشركون بالمسلمين من صد عن سبيل الله وكفر به،

---

(٧٥) البقرة: ٢١٧ - ٢١٨. والأشهر الحرم هي: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب، كما روى البخاري. انظر الفتح (١٧/ ٢٠٤ - ٢٠٥/ح ٤٦٦٢).

(٧٦) أخرج قصة هذه السرية: الطبراني، كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٧٨) بإسناد متصل. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٦ - ٦٧) إن الطبراني رواها بإسناد واحد وهو إسناد حسن. ورواها ابن إسحاق مرسلة، موقوفة على عروة (ابن هشام ٢/ ٢٨٨ - ٢٩٣). وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٧٤): «وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مسندة، فمن ذلك مارواه ابن أبي حاتم...». انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٨ - ٣٦٩).

وصد عن المسجد الحرام وإخراج المسلمين من بلدهم وسلب أموالهم وفتنتهم عن دينهم، بينت الآية أن كل هذا أكبر عند الله مما فعله المسلمون، أي القتال في الشهر الحرام.

فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الجرائم الكبرى كلها في حق المسلمين فلا تثريب على المسلمين من قتالهم في الشهر الحرام، وإنما التثريب أن يقاتل في الشهر الحرام من يرتكب تلك الجرائم.

وفي هذا التعليق بيان لسياسة الإسلام في تقدير القيم الدينية والخلقية وسموه بالمعاني الروحية والإنسانية، وعدم إغفاله للبواعث النبيلة التي دعت رجال السرية للقتال في الشهر الحرام، دون الوقوف عند الظواهر والرسوم وما التزمه الناس من تقاليد كريمة مشروعة أو موروثة.

٢) وبينت الآية أن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته. فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقصها هدم القوانين والدساتير جميعا.

٣) وبينت الآية أن لا هوادة مع المشركين المعتدين، مما كان له أثره البعيد لدى المسلمين وأعدائهم.

٤) إن استخدام الرسول ﷺ أسلوب الرسائل السرية، دل على مشروعية الأخذ بالأسباب، ودل على سبق الإسلام في استخدام هذا الأسلوب الذي لم يعرفه الغرب إلا في الحرب العالمية الثانية.

٥) لقد كانت سرية نخلة أول عملية توغل قريبا من مكة، مركز العدو. ولذا فهي عملية فدائية، قامت على الطواعية، إذ لم يكره عبدالله أحدا من أفراد السرية على المضي في الخطة المرسومة في رسالة النبي ﷺ السرية(٧٧).

٩) تحويل القبلة:

قال الجمهور إنه في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا

---

(٧٧) لمزيد من الأضواء على أحكام وعبر هذه السرية، انظر: أبي شهبة: السيرة النبوية، (٢/١٢١ - ١٢٢) الغزالي: فقه السيرة، ص ص ٢٣١ - ٢٣٢، الشامي: من معين السيرة، ص ١٨٤.

من الهجرة أمر الله (عز وجل) بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام[٧٨]، بعد أن صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا[٧٩]. وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة، قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرع، فأنزل الله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام... الآية﴾[٨٠] فكان أول صلاة صلاها إلى المسجد الحرام صلاة العصر[٨١]، وبلغ الخبر أهل قباء في اليوم التالي وهم يصلون الصبح، فتحولوا إلى المسجد الحرام[٨٢].

١٠) فريضة صيام رمضان:

قال الطبري[٨٣] في حوادث السنة الثانية الهجرية: «... وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل إنه فرض في شعبان منها...».

وثبت في الصحيحين[٨٤] أن الرسول ﷺ عندما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فصامه، وأمر بصيامه، فلما نزل الأمر بصيام شهر رمضان، كان رمضان الفريضة، وخير الناس في صيام عاشوراء.

---

(٧٨) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٦).
(٧٩) روى ذلك البخاري/ الفتح (١٧/ ٢٣/ح ٤٤٨٦)، ومسلم (١/ ٣٧٤/ح ٥٢٥).
(٨٠) البقرة: ١٤٤.
(٨١) البخاري/ الفتح (١٧/ ٢٣/ح ٤٤٨٦).
(٨٢) المصدر نفسه (١٧/ ٢٥/ح ٢٧٨) والتفسير (١/ ٢٧٨ - ٢٨٠)، ومسلم (١/ ٣٧٤ - ٣٧٥/ح ٥٢٦)، وأحمد. الفتح الرباني (٢١/ ٢٨) والترمذي (٢٩٦٦)... وغيرهم.
(٨٣) التاريخ (٢/ ٤١٧).
(٨٤) البخاري/ الفتح (١٧/ ٣١/ح ٤٥٠٣، ٤٥٠٤)، مسلم (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٥/ح ١١٢٥ - ١١٢٩).